رواية شهر العدد

البريئة

كانت فرنسا في العهد القديم مقسمة اداريا الى جملة مقاطعات بعضها دوقيات والبعض الآخر كنتيات وطالما حدثت بين تلك المقاطعات حوادث مفجعة مؤلمة الى أن ارتقى شارل الثامن عرش فرنسا عام ١٤٨٧ وضم جميع تلك المقاطعات تحت لوائه ووحد فيها الحكم. حدثت حوادث روايتنا هذه قبل ذلك الاتحاد في مقاطعة بوش دي رون (Bouches-de-Rhône) في جنوب فرنسا وكانت تحت حكم دوق عظيم له ابنة آية في الجمال تدعى فالنتين احبت طبيب القصر وأحبها وكانا يتقابلان خلسة يتشاكيان الهوى وكان الطبيب يقاسي من ذلك الحب آلاما مبرحة لان آماله كانت مقطوعة من الوصول الى حبيبته عن طريق الزواج لما كان بينهما من التفاوت العظيم في النسب والمقام غير أن ذلك لم يفت في عضده ولا ثناه عن حبه الذي ملك مشاعره وكان له زميل بالغرام من اصدقائه المخلصين هو الكولونيل فرناند رئيس حرس الدوق وكانا يتبادلان الخدمة في حبهما: فالكولونيل يمهد للطبيب رودلف سبيل الاجتماع بحبيبته ابنة الدوق ليلا والطبيب يوصل رسائل الكولونيل الى حبيبته كلودين ابنة عم الفيكونت اوليفار دي فو أعظم نبيل في المقاطعة بعد الدوق وكان فرناند على موعد معها في تلك الليلة في قصرها عند منتصف الليل حيث يصعد اليها من نافذة غرفتها على سلم من حرير والعلامة بينهما أن يرى نوراً في غرفتها. وكانت ألليلة شديدة البرد والزمهرير لمع فيها البرق وهطل المطر وبينما كانت بانتظاره سمعت طرقا خفيفاً على زجاج النافذة فهرولت نحوها وفتحتها فرأته ممسكا بها

فابرقت أسرتها وطفح وجهها سروراً وقالت. مرحباً بالحبيب أن فؤادي ليكاد يلتهب لبعدك عني

— أن لهيب فؤادك جذوة من لهيب فؤادي بل شرارة من لظى حبي

— أدخل أيها الحبيب وأسرع فاني أرى ثيابك مبللة من المطر

— أما من خطر عليكِ ان دخلت ؟

— عجباً ! أتسألني اذا كان هناك خطر وقد نسيت الدنيا ومن فيها لدى رؤياك فادخل ياحبيبي وهات يدك

فساعدته على الدخول من النافذة وبعد أن استقر بهما المقام قال لها فرناند كلودين حياتي! أني أتيت اليك متسترا تحت جنح الظلام وبصحبتي خمسة من أعز الاصدقاء يفدونني بأرواحهم عند الاقتضاء وهم في انتظاري خارج أسوار حديقة القصر فاخبريني هل وصل اليك خطابي ولم تعبث به يد رقيب

كلودين — نعم ياحبيبي وصلني فكان أحسن مؤنس لي في وحدتي واستعدت قراءته مرارا لعلمي أن يدك هي التي خطته وروحك التي أملته فما أعذبه !

فرناند — آه يا حبيبتي أن ملذات العالم لا قيمة لها عندي ما دمت بعيدة عني بيلولا وجود أصدقائي حولي لكنت في أمر عيش ولا سيما الطبيب فلوران الذي سبق وأخبرتك عنه وعن عشقه لابنة الدوق فهو لا يفارقني لحظة فترينا يا حبيبتي أخوين مؤتلفين جمعتهما وحدة الحب والهيام

كلودين — أنك لسعيد يا فرناند !

— أجل لاني قريب منك يا حياتي !

— أنك سعيد على القرب والبعد باصدقائك الذين لا يعدمون وسيلة لتسليتك وأما أنا فقد قضي عليّ أن أعيش وحيدة لا سمير ولا صديق أبثه شكواي

— كيف ذلك يا حبيبتي ولك من أبن عمك اوليفار خير أنيس

— بحقك يا حبيبي لا تذكره أمامي فقد كرهت رؤياه ومللت عشرته

— ترى هل بدا منه شيء حتى تنفري منه كل هذا النفور

— لا أطيق النظر اليه يا فرناند وهو دائما يتودد اليّ ويشكو لي غرامه وقد أوفد لي الأب جيروم الموجود في ضيافتنا الليلة ليسدي الي النصيحة لقبوله زوجا والذي زادني اندهاشا أنه عكس الآية وأشار الي برفض طلبه وحدثني عنه حديثا بيهما لم أفهم له معنى وختم حديثه بقوله لم تحن يا كلودين بعد الساعة ومتى دنت لا أتأخر عن اذاعة السر وردّ حق كل ذي حق

— مهما يكن من أمر هذا السر فليس هنالك ما يمنعك عن الاقتران به

— ماذا تقول يا فرناند أتوافق على ذلك ؟

— هو أحق بك من سواه لأنه ابن عمك فلا تطمعين بأعرق منه نسبا لا سيما وهو يحمل لقب فيكونت . أما أنا فلا أملك سوى حسامي وشرفي العسكري فلا يسعني وأنا مخلص لك الود الا أن أصرف قلبك عني الى شاب شريف تبلغين بالاقتران به أسمى درجات المجد والهناء

— (باكية) كفى يافرناند — كفاك إيلام العواطف فأنت اذا لا تحبني واذا صح ما تقول فاني أوثر الموت على الحياة واما الالقاب التي تذكرها فما هي الا زخرف كاذب لا يشخص اليه الحب ولا تتطلع اليه نفوس المحبين

— سامحيني يا حياتي وما قصدت بذلك الا التثبت من حبك لي

— أن بكائي أمامك وقبولك زائراً في حجرتي في مثل هذه الساعة المتأخرة لأعظم برهان على حبي

— كنكفي العبرات ونقي أنه لا يجرؤ أحد على الوصول اليك وأنا على قيد الحياة ولو تجاسر ابن عمك ان يمد اليك يد الاذى فلأبترنّ ذراعه بحسامي

— اني أسمع حركة في غرفة ابن عمي فبادر بالنزول يا حبيبي فاني أخشى الفضيحة

— استودعك الله يا حبيبتي وينزل من حيث صعد

— رافقتك العناية يا حبيبي وتقفل النافذة فيدخل عليها الفيكونت اوليفار بثياب النوم وبيده مسدس فرآها ماسكة باب النافذه فقال لها عجبا هل انت وحدك هنا فاجابته بخوف نعم وحدي فاجابها لا اصدق فان اذني لا تخونني وقد سمعت همسا في هذه الحجرة وما هي علة وجودك بقرب النافذة في مثل هذه الساعة المتأخرة كأنك تحاولين اخفاء شيء عن نظري

— انك تهينني يا هذا وتثلم شرفي بافترائك فمن تنتظر ان يكون عندي في منتصف الليل سوى ملائكة الرحمن التي أناجيها وما وقفت بجانب النافذة الا لالقي عليها نظرة في سمائها

— دعيني أنا بدوري أقدم لها شكري على هبوطها من سمائها ثم حدجها بعنف

وفتح النافذة فرأى شبحا يعدو في الحديقة فصوب نحوه المسدس واطلق ثلاث طلقات متوالية فصرخت كلودين آه قتلته يا ظالم فاجابها ولكن لا بد لي من معرفة اسم عشيقك قبل ان افرق بينكما ثم نادى بأعلى صوته هنري هنري اليّ ! اليّ ! وفي هذه اللحظة دخل هنري كاتم سر الفيكونت قائلا ماذا حدث يا مولاي

اوليفار — لقد كان نظرك صائبا يا هنري وطالما حذرتني فكنت أعرض عنك والذي يدهشني كيف اغفل حراس القصر مراقبته فليس بعسير ان تتسلل اللصوص الى قصري وهم غافلون فاذهب وايقظ الأب جيروم ولكن لا وكأني به آت الينا فلا بد انه سمع صوت اطلاق الرصاص

الراهب — ما ذا جرى ؟ فاني ذعرت في نومي على اثر اطلاق الرصاص

اوليفار — ان شرف عائلة دي فو اصبح هدفا لسهام العشاق وقد بات قصري مسرحا يتلاقى فيه المحبون وقص على الراهب ما جرى

ثم امر كاتم سره هنري ان يبحث في الحديقة ووجه الكلام لكلودين بقوله سوف اريك ما سيؤول اليه امرك اينها الشقية فصرحي باسمه والا اخمدت انفاسك ثم صوب اليها المسدس فاجابته نفّذ ما عزمت عليه ولا ترجع يدك خائبة فحياتي لا تطيب بعد مماته واني لفاعلة ذلك اذا لم تكن انت الفاعل فقد تعاهدت واياه على الاخلاص في الحياة والممات فهجم عليها اوليفار يريد قتلها ولكن الراهب جيروم منعه قائلا تروّ في الامر ولا تدفع بنفسك الى تيار الجهل وكم من نادم حيث لا ينفع الندم وبعد ذلك دخل هنري قائلا لم اعثر على شيء ولكنني شاهدت آثار اقدام على الرمل وسلم من الحرير يتدلى من هذه النافذة فصاحت كلودين شكراً لك يا الهي على نجاته فاجابها كلا فلن ينجو لان الاسود لا تدع فريستها تفلت من بين مخالبها واما انت اذا امتنعت عن تسميته فلا أعدم وسيلة من الاهتداء اليه متى اصبحت وديعة السجن مكبلة بالحديد والسياط تلهب جسمك كالجمر مين ثم جرها وقادها الى قبو القصر وربطها في احد الاعمدة وتركها وبقي الراهب جيروم وحده في غرفة الفتاة كالمجنون وهو يدمدم لحاك الله ايها الظالم ! ان لي معك موقفاً سيكون نصيبك فيه الخذلان وانت يا كلودين فالنجاة مضمونة لك ولا غرابة فان الجذوع تنبت الفروع عليها ولا بدع

فالولد سر أبيه ذلك الرجل الذي كان جعبة دهاء

وفي اليوم الثاني حضر الطبيب رودلف وأربعة ضباط أصدقاء فرناند الذين كانوا برفقته ليلة أمس خارج أسوار قصر دي ڤو . ثم تباحثوا فيما عساهم يفعلون وأخيرا قر رأيهم أن يجتهد فرناند بمقابلة الراهب جيروم وهو يفيده عما حصل لكلودين

وفي الغد بينما كان فرناند يتفقد حرس قصر الدوق كالمعتاد اذ لمح الاب جيروم والدوق في غرفة الاستقبال فتوقع خيرا ثم توجه الى غرفته الخاصة وما هي الا لحظة حتى دخل عليه الاب جيروم فوجده منهمكا في مطالعة بعض التقارير العسكرية فاقترب منه جيروم بدون أن يشعر به ووضع يده على كتفه قائلا كولونيل فرناند أنت هنا على انفراد فصاح فرناند مندهشا من هذه المباغتة وقال : الأب جيروم أشكرك يا الهي فأجابه ما الداعي لهذا الشكر يا كولونيل فقال أمنية قد تحققت وهي الاجتماع بك على خلوة لسؤال في نفسي فأجابه سل ما تروم يا ولدي فقال له أريد منك يا ابتي خدمة جليلة ولا اخالك الا واقفا على ما جرى بالامس في قصر التيكونت اوليڤار فأجابه جيروم كيف وصل اليك هذا النبأ ؟

فرناند ـ لا أخفي عنك يا أبتي اني أحب كلودين ولوثوقي الاكيد بأنك ملم بكل شيء قصدتك راجيا أن تفيدني عما جرى لها

الراهب ـ اذن أنت بطل رواية الامس وهل هي تحبك فأجابه فرناند نعم

الراهب ـ نظر اليه ثم تريث قليلا وقد جال في فكره ما أوقفه برهة عن الكلام وكأنه يردد في نفسه. هذه هي ضالتي المنشودة ثم قال له هدىء روعك يا ولدي فانها على قيد الحياة انما قد سجنها في قبو القصر وكل يوم يعذبها حتى يرغمها على الاقرار باسمك حتى ينتقم وهي مصرة على الانكار فقال له فرناند يالها من وفية ويالله من ظالم ووضع الراهب يده على كتفه قائلا أتثق بي يا فرناند فأجابه كل الثقة يا ابتي المحترم فقال الراهب اذاً كن واثقا بنجاتها وسأبذل قصارى جهدي في سبيل ذلك ولكن على شرط أن لا تسألني عن السبب فكن على استعداد في أية ساعة أطلبك لتعاونني على اخلاصها لاني مدين لك بحياتي من أمد بعيد واعلم ان اوليڤار بعد هذه الحادثة كره كلودين وأخذ يسومها العذاب وطلب يد فالنتين ابنة الحاكم فرفضت ولكن

أباها أرغمها على قبوله وكفى أن أسدي لها النصيحة ففعلت وافهمتها أن هذا الزواج لن يتم ووعدتها خيرا بزواجها بالطبيب رودلف فانهش فرنانديز من هذا الراهب الذي هو خزينة أسرار وانصرفا على أمل اللقاء متى حانت الساعة لنجاة كلودين

وفي مساء اليوم التالي كان موعد زفاف اوليفار على ابنة الدوق فأمر هنري أن تحرق كلودين في القبو سرا وبناء عليه صب هنري الغاز في القبو وأشعله وقفل الباب وكم صرخت كلودين مستنجدة بالخالق من شر الانسان وما هي الا لحظة حتى شعرت أن الارض فتحت بأعجوبة ورأت أمامها حبيبها فرناند والراهب والطبيب والضباط فقطعوا أغلالها وحملوها وفروا من حيث أتوا وذهبوا بها الى قصر الدوق وما اقتربوا من غرفة الحفلة حتى رأوا من بعيد اوليفار وهو يسكب سائلا في قدح الدوق ليشرب نخب العروسين كما هي العادة المتبعة في ذلك العهد فأرادوا قتله ولكن الراهب منعهم وقال هذا سلاح آخر ثم خرج اوليفار بهدوء من دون أن يشعر بهم وكان غرضه في هذه الليلة الاستيلاء على الثنتين وثروتها والتخلص من الدوق مزاحمه لانه بعد موته يصبح خلفا لانه أشرف شريف في المقاطعة بعد الدوق

وبعد هنيهة دخل الدوق والدوقة والعروسان والاشراف والكل يحملون الازهار والرياحين والشموع وما استتب بهكم المقام حتى قال الدوق للراهب تقدم ايها الاب الجليل وتمم بصلواتك المقدسة فرحنا وبارك بيديك الطاهرتين العروسين فأجابه الراهب مولاي ما لسوا كم بيننا آمر وما علينا الا الطاعة ولكن لي حديثاً ألقيه على مسامعكم فأرجوك أن تعيرني أذنا صاغية فأقوم بواجب علي فأجابه الدوق ألا يمكن ارجاء هذا الحديث حتى تتم صلاة الأكليل فقال الراهب ان لحديثي صلة كبرى بهذا الزفاف وان ضميري الحي يأبى علي الصلاة قبل أن أطلعكم علي أسرار فظيعة فأجابه الدوق انك تروعني بما تقول فقال الراهب ليس في حديثي ما يروع بل فيه عبرة للآثمين وعظة لأولي الالباب فقال الدوق تكلم اذاً فقال الراهب اسمعوا جميعا حدث منذ ٢٤ سنة تقريبا أن نبيلا ذا ثروة طائلة مات عن ثلاثة أولاد اقتسموا ثروته فالاكبر مات زوجته عن طفل والاصغر مات هو وزوجته وتركوا طفلة قام بتربيتها الاكبر وأما الاوسط فلم يكن متزوجا بل كان فاسد الاخلاق لا يلذ له سوى

التنقل في دور الفيد الى ان علق بمومس رزق منها ولداً غير شرعي وبقي على هذا الحال حتى فقد ثروته وأفقلته النيون فسولت نفسه الشريرة قتل أخيه ليستولي على ثروته وثروة أخيه الاصغر والد الفتاة واستعان برجل اسمه راجستين كان وكيلا لاشغاله واتفقا على أن يقتلا ابنه الصغير أيضا وابقاء الفتاة حيث لا خوف منها اذا كبرت وقد نفذا اتفقا عليه فدس لاخيه السم في الدسم وسلم ابن أخيه لراجستين لقتله فأخذ الطفل ولم يعد الى القصر ولم يعرف عنه شيء ثم استولى هذا الطاغية على ثروة أخويه ومضت على هذه الحادثة ٢٤ سنة تقريبا كره بعدها خليلته التي ماتت وأخيراً ندم على ما فرط منه بعد أن انتقلته الامراض واستعصى عليه الشفاء فذهب الى دير القديس انطونيوس للصلاة ثم اعترف لرئيس هذا الدير بكل ذلك واعطاه دفتراً دون فيه كل ذلك والذي ألجأه الى هذا هو أن احدى الفلاحات أتت من مدة الى قصره وأخبرته ان ابن أخيه لم يزل حيا يرزق وقد عرفت ذلك من صليب كان في عنقه وما كانت لتعرف أن هذا الصليب يفتح وأخيرا لما فتحته رأت علامة شرف عائلته (Blason) وجاءت لتخبره انها وجدت الطفل ملقى في الغابة من ٢٤ سنة فأخذته وما مشت قليلا حتى صادفها فارس من الاشراف فلما رآها تحمل طفلا عليه سماء الشرف خامره ريب وصوب اليها مسدسه وأخذ الطفل منها ثم دعاها لتربيه في قصره فذهبت وربته حتى كبر الولد وهو لا يعرف له أبا الا هذا الشريف وهو الان يشغل مركزاً كبيرا في قصر مولاي الدوق. فأجابه الدوق من هو؟ فقال الراهب امهلني ياسيدي للنهاية وقد أعطى للراهب هذه المذكرة وكلفه أن يبحث عن الطفل الذي أصبح الآن شاباً وبواسطة هذه المذكرة يستطيع الراهب أن يرد له ميراث أبيه وقد أخبر الراهب بذلك حتى يموت مستريحاً

وما مضت مدة قليلة على هذا الاعتراف حتى مات هذا النبيل وكان ابنه سليل الشرف قد أصبح شاباً في الثانية والعشرين من عمره ولكنه كان ثمرة لشجرة شيطانية. أحب هذا الشاب ابنة عمه ولكنها لم تهوه فعرض عليها غرامه فامتنعت فاغتاظ واضمر لها الشر كعادة أبيه وأما هي فكانت تحب غيره فوافاها حبيبها ذات ليلة في قصره فباغتها ولكن كان حبيبها قد فر من النافذة ثم أمر أن يسجنها

في قبو القصر وأخذ يعذبها ثم طمحت نفسه الشريرة الى أكثر من ذلك وطلب ان يتزوج ابنة الحاكم فطلب يدها وفي ليلة العرس اشعل النار في القهو الموجودة فيه ابنة عمه ليميتها حرقاً بالنار فقال له اوليفار بحدة ماهذه القصة ثم وجه حديثه للدوق قائلا اذا سمح مولاي بأن يأمر الراهب أن يتمم صلاة الاكليل فنحن لسنا في موقف قصص فصرخ فيه الراهب قائلا نعم لا تريد أن تصغي لانك مع ابيك بطلا هذه القصة فاعلم يامولاي الدوق أن الذي أمر باحراق ابنة عمه هو الفيكونت أوليفار والنبيل الذي قتل أخاه هو أبوه الكونت اوسكار دي فو وهو أيضاً الذي سلم ابن أخيه لوكيل اشغالة راجستين لمحو آثاره وراجستين يامولاي هو أنا فبعد أن أخذت الطفل طرحته في الغابة طعمة للوحوش وما ابتعدت قليلا حتى وبخني ضميري ورجعت لآخذه فلم اعثر عليه وبدلا من أن أعود الى الذي كان السبب في شقائي ذهبت إلى الدير واندمجت في سلك رهبانه وهناك اعترف بين يدي الكونت اوسكار بكل مافيه به وهاك مذكرته التي أودعها بين يدي لتكون حجة حتى متى بحثت عن ضحيته الا هو ابن أخيه الذي قتله بالسم يمكنني رد ميراثه اليه وقد أهتديت اليه أخيراً وهو الامين في خدمة مولاي الدوق السكولونيل فرناند الذي تبناه المركيز فرذريك كاتم أسراركم وهو يؤيد ماقلته من أنه أخذه من الفلاحة التي وجدت الطفل أليس كذلك يا مركيز فاجابه المركيز نعم اني لما كنت بلا ذرية وماتت زوجتي عثرت على الطفل وتبنيته فقال الراهب: اذا الفيكونت أوليفار ليس ابن الكونت اوسكار دي فو الشرعي وليس له حق الوراثة وان السكولونيل فرناند هو ابن المركيز مكسيمليان دي فو وابن عم كلودين الحقيقي وهي ابنة الكونت راؤول دي فو وعلى ظني أن الفيكونت اوليفار يؤيد ما قلته عن احراق كلودين فصرخ أوليفار بوجه الراهب قائلا زور وبهتان فقال الراهب للدوق اتسمح لي مولاي أن اؤيد ماقلته بالبرهان فقال الدوق عجل أيها الراهب فاني في غاية الغرابة من جرأة الفيكونت فنادى الراهب بأعلى صوته كلودين كلودين اسرعي الي وتوسطي هذا الجمع المحتشد واشرحي كلامك على رؤوس الاشهاد بصوت جهوري يسمعه الجميع فخرجت كلودين قائلة لبيك يامخلصي العزيز من النار ثم ركعت أمام الدوق وقصت عليه كل ماجرى وما انتهت حتى نظر الدوق

لاوليفار قائلا تباً لك أيها الظالم فقاطعه الراهب قائلا مولاي لم يكتف هذا الغادر بذلك بل ذهب الى أكثر فليأمر مولاي طبيبه الخاص أن يفحص هذه الكأس المعدّة لمولاي ليحتسيها نخب العروسين فصرخ الدوق ماذا؟ افحص أيها الطبيب الكأس وما فعل حتى صاح بالله سم قاتل يامولاي فصرخ الدوق ماذا اسمع لقد طاش عقلي — سم في كأسي — ثم أمر الجنود بالقبض على اوليفار وزجه في السجن وانتهى أمره أنه مات منتحراً ثم شكر الجميع الراهب لا سيما الدوق فقال الراهب لم أقم الا بواجبي نحو فرناند الذي اسأت اليه طفلا فرأيت ان أحسن اليه شاباً وانما لي ياسيدي الدوق — كي انجز مهمتي وأعود الى صومعتي هادىء البال — أمنية واحدة فقال له الدوق عليك الامر يا أبي المحترم وما علينا الا التنفيذ فقال الراهب لا غاية لي في هذه الليلة السعيدة الا رفع لواء العدل وتحطيم معول الاثم ومكافأة الصالحين ومعاقبة المجرمين أما وقد عاقبت الجاني اذكر مولاي برجل نبيل مخلص أمين يستحق رعايتكم وهو الطبيب فلوران فاجابه الدوق حقاً ان لهذا الطبيب من السجايا ما تحمده عليه الامراء ومكافأته أني أهبه ستماية ألف فرنك مع لقب بارون فقال له الراهب أنه ليس في حاجة الى المال يسد به حاجته ولا الى القاب انما هو في حاجة الى دواء يداوي به جرحاً عميقاً عجزت عن مداواته الاطباء فقال الدوق عجباً الطبيب يشفي جريحاً يلتمس الدواء من أحد مرضاه فقال الراهب أما وقد انعم مولاي بلقب بارون على الطبيب فلوران فقد أصبح في مصاف الاشراف وأستطيع الآن أن أتكلم بتمام الوضوح ولا أخالكم تجهلون مابين البارون فلوران وكريمتكم من علاقات الحب الطاهر المتبادل لذلك فانا أتوسل اليكم أن تجمع بين هذين القلبين المؤتلفين وان السعادة يامولاي لم تكتب آياتها على صروح الجاه وأعالي العروش والتيجان بل في كتاب الحب الذي نظمت قصيدته الطبيعة وترنمت بنشيده ملائكة السماء فنظرت الدوقة للدوق بلطف قائلة له انك لا تجهل ياحبيبي أن للحب سلطاناً يستذل كل سلطان وروابط دونها روابط الحسب ورفعة الشان وتذكر أن الحب هو الذي جمعنا وربط قلبينا بالرغم عما كان بيننا من تفاوت في المقام ولكن الحب هو الذي رفعني في عينيك وساوى ضعتي بمجدك وحقارتي بعلاك وعلى أي حال فانت صاحب

الأمر وفي يدك أن تخفض من شأن وترفع من قدر على انك بمنحك حضرة الطبيب لقب بارون قد رفعت من قدره وجعلته من طبقة الاشراف فلا أرى ما يحول بين اجابة طلبه. ان في ذلك سعادة لوحيدتنا قائلتين المحبوبة فابتسم الدوق قائلا اذاً يا حضرة البارون بل يا صهري العزيز وأنت يا ابنتي اقتربي وضعي يدك في يد البارون واقبلا من فؤاد طافح بالسرور بركتي وأني أهبكما الاراضي الشمالية هدية لعرسكما واني أمنحك يا صهري لقب مركيز وأنت أيها الراهب اتل صلاة العرس على ابنتي والمركيز فلوران وكلودين والكولونيل فرناند الذي أهبه لقب كونت تعويضاً لما لحقه في الماضي وأعيد اليه كل أملاك عائلة دي ڤو وتم العرس في سرور وانشراح وعاش الجميع في رياض المسرات

نجيب سلفوده

دخلت جارية على الوليد تحمل آلة الشراب وابرقت السماء فأجفلت فقال :

ريعت من البرق وفي كفها برقٌ من القهوة لماعُ
عجبت منها وهي شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاعُ

ودخلت الشمس من كوّة فاصابت الخليفة فوقفت الجارية تحول دون الأمير والحرّ فقال :

قامت تظللني من الشمس نفس أعز عليَّ من نفسي
قامت تظللني فواعجبي شمس تظللني من الشمس

قال شاعر وابدع

ليت الملاح وليت الراح قد جُعلا في جبهه الليث أو في قبة الفلك
كي لا يقبّل ذا حسن سوى أسد ولا يطوف بكاسات سوى ملك

قال ابن وكيع وكان يشرب خمراً تحت كرمة ونقله (المزّة) من عنب وأجاد وأبدع :

شربنا ومن عنب نقلنا يظللنا ورق الكرمة
فشربي ونقلي وظلي معاً من البنت والأم والجدة